نجيب المانع..

١-٢

قلق التعبير وجلد الذات

علي الحسيني

ثمة سمة، يتسم بها معظم الذين يتركون خلفهم اثراً، له علاقة بالعملية الذهنية الطامعة بالجديد دوما، التي لا تنفك عن عرض كل المسلمات الكبرى، والمسائل اليقينية الى التشريح النقدي، مهما كانت اطر التقديس التي تختبئ خلفها. تلك السمة، عادة ما تلازمهم منذ السنوات الاولى لتشكل وعيهم، وتبقى تلّح عليهم حتى آخر حضورهم "الجسدي".

واعني بالسّمة تلك، دخولهم إلى عمق الدائرة الدينية، طمعا بالإجابة على التساؤلات الهائلة التي تشغلهم، وتقلقهم مُذْ بدايات نضجهم. وعند اكتشافهم عقم الإجابات المتوفرة يبدؤون بتشكيل منظومة وعي مغايرة، تساعدهم في ذلك معرفتهم بالمدونات الدينية التي قضوا معها/فيها سنوات، منقبين حافرين في المناطق المسكوت عنها.

هناك نماذج كثيرة،، وعديدة ممن تركوا اثراً ثقافيا مهما، وكانوا قد مرّوا بالظاهرة الدينية، سواء في العراق او خارجه. فجميعهم خرجوا من الدائرة الدينية، بعد أن قضوا سنوات طويلة فيها/ معها، ولم يكن خروجهم خروجا بطراً، بل صاحبه موقف نقدي مهم. فمعروف الرصافي -على سبيل المثل فقط- في كتابه المهم (الشخصية المحمدية) قدم لنا نموذجا واعيا، وعميقا في طرح السؤال النقدي الإشكالي الموصول بالمدونة التراثية.

نجيب المانع، كان أيضا - في عقده الثاني- قد ولج تلك الدائرة، بالرغم انه لم يخبرنا عن تجربته هذه في مذكراته(عمر أكلته الحروف)، ولم يشر إليها في ما خلّفه لنا من كتابات. إلا أن أخته الروائية (سميرة المانع) تخبرنا: ان المسألة الدينية قد شغلته فترة الى حد الذوبان فيها. فمارس- نجيب المانع- الشعائر، وفرائض الطقوس، ومستحباتها، وأطلق لحيته، وقرأ المتون الأساسية، والشروحات، وخاض في التفاصيل املاً في الوصول الى القاع. ومارس ما يمارسه المتدينون فقد(نهر أخته الصغرى، يوما، وعمرها لا يصل التسع سنوات، حين رآها واقفة أمام المرآة تهز كتفيها مقلدة راقصة مصرية اسمها تحية كاريوكا، أثارت إعجابها[....] أصبح متمسكا بأمور الدين بصورة دقيقة ملزمة. يؤم الصلاة في (جامع السيف) القريب من البيت الذي يسكن فيه، يقرأ القرآن. وكعادته في الإحاطة بكل موضوع يتعلق به روحيا، يريد أن يُلِمّ بكل تفاصيل الدين مدركا جوهره، وأهميته، وغايته بالأساس). "سميرة المانع: من المؤثرات الثقافية في نجيب المانع".

ثم خرج من تلك الدائرة الى دائرة اليسار وبعد ذلك (بدأ نجيب يراجع، ويشك في كل ما كان يسمع، وما كان يرى. بذرة التشاؤم، ولدت، ونمتْ باطراد، لم يعد يصدق براءة الإنسان، وحسن طويته كما كان في السابق. صار يتابع أخبار الأشرار، الأنذال، المزورين، والظالمين على هذه الكرة). "سميرة المانع: المصدر نفسه"

تكشف لنا هذه التحولات التي مر بها المانع عن شخصية متمردة رافضة الركون إلى الساكن، يشغلها هم التغيير، والمغايرة الفاعلة المنتجة.

شخص يكره الكسل، والخمول. تميز بالجسارة منذ بواكير وعيه، وحتى مماته. وهو القائل: (كل الذين قدموا لنا رؤياهم الفريدة عن حقائق الحياة الجوهرية كانوا جسورين في التعبير) وهو احدهم بالتأكيد.

فقد قدم لنا فتوحات كبيرة، والتماعات هائلة تتصل بعوالم مختلفة، وحقول متضاربة.

وقد غطت وجهات نظره ميادين متنوعة كـ(الشعر، الرواية، المسرح، الكتابة، الصحافة، العلوم، التاريخ، الاجتماع، السياسة ووو..الخ). وعَبْر تلك العناوين، قدّم لنا خطوطا رئيسية لمشاريع نقدية، وفكرية تستحق التأمل، والكتابة عنها بإفاضة.

آراؤه تُعد جسارة ونقدا قاسيا لمسائل أصابها الموات منذ سنوات طويلة، ومازالت في خمود. كما ان الكثير من أفكاره أثارت جدلا شديدا في زمانها، وهي كذلك ستثير آخرين في زماننا.

نلمس عند(الراحل) مسؤولية ثقيلة تجاه الأفكار التي آمن بها أو التي أخضعها إلى المبضع النقدي كاشفا عن الأنساق المضمرة الكامنة في قيعانها.

ومع كونه كذلك، لم يحظ نجيب المانع باهتمام كاف في الوسط الثقافي، والأدبي في العراق. بالرغم من أن له انفلاقات غاية في الأهمية، في حقول شائكة وفي مسائل مثيرة تعامى عنها الآخرون.

صحيح أن منجز الراحل "المدون" الذي يضم آراءه، ووجهات نظره محدودا، لكن الرجل ترك لنا عشرين كتابا مترجما أو يزيد. إلاّ انه (وهذا مؤسف) ليس كافيا لضخ الروح في الوسط الثقافي العربي، وحتى العراقي لمتابعته. ربما لأنّ الذهنية الثقافية، والإبداعية العراقية، والعربية عامة لا تتعامل مع النص المترجم، كنص قائم بذاته يساوي او يقترب من النص المؤلّف(بفتح اللام). فللمترجم نصه الذي يبنيه هو، ولا يُعد جهده المبذول جهدا ميكانيكيا، بل جهد ذهني وعقلي في أحيان كثيرة خصوصا في الميادين الإبداعية.

ألم يُمت مترجمون مؤلفات غاية في الأهمية، والمكانة بسبب سوء ترجماتهم لها؟. أليس هذا اعترافا بانّ الترجمة عمل ذهني قبل أن تكون آلية.

في كتابه الأخير(جسارة التعبير) الصادر عن دار الشؤون الثقافية نتعرف الى فيض من الآراء، ووجهات نظر عميقة أدلى بها(الراحل) في حقول أدبية، وثقافية، ومعرفية، وحتى علمية لا تتسع المقالة لبيانها، وكشف اشراقاته المضيئة فيها.

لكن ثمة مسألتين مهمتين شغلتا الكاتب الراحل، سواء في الإصدار الأخير أو في مذكراته المثيرة (عمر أكلته الحروف). مسألتان أولاهما نجيب المانع ايلاءً كبيراً. وهما: (المشكلة الكتابية، وضخامة الذات).

رسالة إلى الدكتاتور

برويز بيكَي حبيب آبادي
ترجمة: جلال زنكابادي

لن يأخذك إلى المقبرة أيّ تابوت
حيث سينتفض الموتى
ويسدّون الطرق
لن يؤويك أيّ قبر!
سيقذفونك في البحر؛
ستتظاهر الأمواج
وتلوذ السراطين ،
الأخطبوطات
وأسماك القرش
بأعماق الأوقيانوس !
سيقذفونك في المستنقع ؛
ستنتحر الديدان
والحلازين
والعَلَق ×
إنتحاراً جماعيّاً !
سيطرحونك في الصحراء ؛
ستفرّ منك العُقبان التي
تحكّ العظامَ بالأحجار!
ستظلّ على أيدي الـ (UN)
وأيّ قرار
لن يضمنَ لك قبراً ما
ستموت حتما
ويظلّ الشعب مقاوما....

× برويز بيكَي حبيب آبادي (تولد ١٩٥٤) شاعر وباحث إيراني

الروائي حسن عبد الرزاق في اتحاد الأدباء

شخصيات ضاجة بالأسئلة

محمود النمر

احتفاء بأدباء المحافظات ضيّف اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ، الروائي حسن عبد الرزاق من محافظة ذي قار، بمناسبة صدور روايته الجديدة " بوصلة غضبان بن شداد " وأدار الجلسة الكاتب خضير فليح الزيدي، مشيرا إلى منجز هذا الروائي الذي بدأ النشر في الصحف والمجلات العراقية والعربية وكانت روايته الأولى "أيام العبير" في عام ٢٠٠٢، ورواية "سيناريو حياة النمر" ، في عام ٢٠٠٩، ومجموعة قصصية بعنوان "باخوس المدينة".

إن الرواية العراقية الجديدة عبرت مراحل النشوء والتطور التقليدية الواجبة والمصاحبة لكل حقب التغيير الكبرى ،وفق نظريات التطور في تدرج نشأة الرواية المحلية لأي بلد ، سواء كان ذلك في العراق أو في أميركا الجنوبية ،فالرواية العراقية الجديدة تلك التي انعتقت من قمقم الاحتباس الفكري والمجتمعي ما بعد عام ٢٠٠٣، لذلك فهي وصلت بمجهود فستانها الجديد إلى مرحلة سن الرشد على أيدي نخبة عريضة من الروائيين العراقيين .

ثم تحدث الروائي حسن عبد الرزاق عن حفل التوقيع الذي جاء برغبة منه، وقال : حيث حصلت شبه قطيعة مابين أدباء المحافظات والمركز، بغداد هي عاصمتنا وهي القلب ويجب أن نديم التواصل ،ونحن نقيم أماسي كثيرة في الناصرية. لا أريد أن أتحدث عن الرواية كثيرا لكون متعة القراءة فيها تكون اقل لدى القارئ ، وقد عانيت المقدمات التي تكتب في الكثير من الروايات ، ولكني فقط أسلط الضوء على العنوان " بوصلة غضبان بن شداد " نحن نعرف في تاريخنا وتراثنا كان عنتر بن شداد هذا الفارس الذي قاتل من اجل قضيتين وجوديتين ،الأولى حريته؛ والحرية قضية وجودية عظيمة ،والثانية الحب وهي قضية إنسانية رائعة ، لأنهم طلبوا منه أن يقاتل مقابل إطلاق سراحه من العبودية وأيضا تزويجه "عبلة" حبيبته ،لهذا قاتل من اجل هاتين القضيتين الرائعتين ،امتداد غضبان بن شداد كان على النقيض منه تماما ، عندما وجد الثورة ، فهمها فهما خاطئا ، ذهب ليقاتل من اجل أن يسلب وينهب ويفعل ما يشاء ، هذه الشخصية هي رمز لشخصية شعبية عامة في تقلباتها وتذبذبات سلوكها ، هي في البدء تبدو ثائرة ولكن في النتيجة تنتهي أداة بيد الزعيم الذي ثارت عليه لتقاتل الثوار في مكان آخر ،وهذه شخصية واقعية قريبة مني اعرفها وتعرفني وأخذت الحدث والشخصية وبعدتهما عن الأجواء الواقعية كي لا تدخلا في دائرة التوثيق، وبالتالي أكون ملزما بان أشير إلى الأحداث كما هي ،الخيال الروائي هنا يتحدد ولهذا خرجت قليلاً من حدود الأسطر .

ثم تحدث الناقد فاضل ثامر مشيرا إلى ان الكثير من أدباء المحافظات يتعرضون إلى التهميش والتجاهل من قبل أدباء المركز، وقال إن حسن عبد الرزاق دائما يعتني باللغة واللغة عنده مقياس ذاتي يشتغل عليه بطريقة ايقونية إذا جاز التعبير وهو من القصاصين المهمين ،لا على مستوى الناصرية وإنما على مستوى العراق وخاصة في مجال تجربته في القصة القصيرة .

وقال الناقد علي حسن الفواز الذي حاول أن يستذكر علاقته مع الروائي حسن عبد الرزاق، وأشار إلى القصاصين الذين حاولوا أن يقدموا السرود الجديدة من بعد هاجس الحروب منذ الثمانينيات التي تحمل الخوف والدمار، وهذا الجيل عاش تجربة جديدة أخرى، هي انه كيف تكتب الرواية، وقال : هل الرواية التي كتبت في الستينيات بنزعتها التجريبية السريعة والمغلقة وربما في شفراتها المحددة تشبه الى حد ما ،او يمكن أن تكون نموذجا للاستعارة لكي تكون رواية جديدة لها قوام ولها مزاج ولها شكل ،أم أن هناك أفقاً جديدة ينبغي للروائيين والقصاصين العراقيين أن يكتبوا باتجاه آخر لها ؟

وأشار إلى أن شخصية حسن عبد الرزاق شخصية صعبة وشخصياته تشبهه وضاجة بالأسئلة وشخصية من الصعب جدا أن تؤنسن، واعتقد أن هذا المزاج العميق للروائي انعكس تماما على كتاباته .

تناقضات الكاتب بين الوطن و المنفى

عادل العامل

من أكبر انشغالات الخطاب الأدبي في الوسط الثقافي الكيني مؤخرا كانت مسألة تضمين مذكرات الكاتب الكيني بينيافانغا وينينا، (يوماً ما سأكتب عن هذا المكان)، في قائمة أوبرا الرفيعة للقراءة الصيفية، و هو كتاب سيظهر في بداية العام القادم. و لم يكن مدهشاً على مستويات اللغة، و الأسلوب، و الفكر، أن يكون بينيافانغا قد ترك علامة لا تُمحى في رمال الزمن الأدبية و هو محدد الآن، مع استحسان أوبرا، بكونه شخصية عالمية حقاً، كما يقول سايلاس نايانشواني في مقاله هذا.

إنها قصة تُحكى من عينين بريئتين لبينيافانغا شاب عن النشأة في بلد تكون القبلية فيه قضية شائكة. و هي تتحدث عن توقعات الوالدين و الانجذاب القوي الذي كان لديه نحو الكتب و الكتابة، اللذين يُصبحان لاحقاً مصدره للمال الضروري.

و لقد كان الكاتب، الفائز بجائزة كين Caine لعام ٢٠٠٢، على روايته القصيرة (اكتشاف البيت Discovering Home)، منتقداً على الدوام لتصوير الغرب القارة الأفريقية. و كانت مقالته عام ٢٠٠٥ ، المنشورة في غرانتا، و هي مجلة أدبية بريطانية، (كيف تكتب عن أفريقيا)، المادة الأكثر هجائية الموجهة للغرب و تصويرهم المقرف للأفارقة في سردياتهم المختلفة.

و قد استعارت مذكراته الجديدة بالتأكيد من أعماله السابقة، و لو أنه يتخذ كثيراً هذه المرة دوراً مركزياً، كونه اللاعب الرئيس.

فهو يكتب عن هشاشته السياسية في كينيا خلال الفترات الانتقالية لموت جومو كينياتا إلى حكم دانييل موي الاستبدادي، و عن رحلاته الأكاديمية في أوغندا و جنوب أفريقيا، و النيوكولونيالية المتغلغلة.

و قد أُثني على بينيافانغا لنزعته اللغوية المعصومة من الخطأ، و وصفه السينمائي، و تدفقه الشعري. لكن لابد للمرء أن يتساءل : لمن يكتب أمثال بينيافانغا، يا تُرى؟ و مصالح مَن تخدم أدبياً و ثقافياً؟

إنهم جزئياً و بسبب أسمائهم، بينيافانغا، و نغوغي وا ثايونغو، و ابنه ميوكوما و كتّاب آخرين منفيين مهنياً في الغرب يشكلون حيزاً متفقاً عليه في الإعلام للكتابة عن أفريقيا. فهناك صحف مثل نيو يورك تايمس، واشنطن بوست، الغارديان و غيرها تخصص أعمدةً لهؤلاء الكتّاب مليئة بالإيديولوجيات الفكرية المستحيلة التطبيق في السياق الأفريقي.

و في الوقت الذي نستمتع فيه بإتقانهم اللغة، فإن أعمالهم أخفقت باستمرار في إدراك المزاج الحاضر في القارة. و هم مستنسخون بشكل ثابت في الأدب التاريخي. و ما يزال نغوغي يتفجع على اللغات المحلية، قضية الجدال القديمة لعقود من الزمن.

و الكتّاب المعاصرون منهم ينتقدون أفريقيا و يتهمون العالم الغربي بالأمبريالية المستمرة من العواصم الغربية، و تلك قمة المفارقة. و هم يأتون إلى أفريقيا ليلقوا محاضرات و بحوث ثم يعودون إلى وظائفهم المجزية في الغرب. و أنا يشغلني تدبيرهم رزقهم هكذا بانتقاد أفريقيا لخاطر مضيفيهم الشهماء و لا يوفرونهم أيضاً في الوقت نفسه!

و لقد حل الوقت الذي بدأنا فيه تتبّع الأدب الذي يحتفي بثقافتنا إضافةً للتحديات المنبثقة اليوم. فالكولونيالية و سياسة التمييز العنصري يبليان، بينما يصارع الشباب البطالة، و الانفجار السكاني، وقضايا التوجّه الجنسي و النزعة الاستهلاكية المفرطة.

■ عن: allAfrica

منطقة محررة

■ نجم والي

عندما يفرغ السينمائي الأهوار من مواطنيها

الصدفة هي التي قادتني إليه. صحيح أن الرجل كبرني في السنّ لكنني للأسف لم أسمع به من قبل. أمر زاد فضولي طبعاً. لماذا لا؟ قلت لنفسي، فالرجل حاصل على الجوائز العديدة كما قرأت أو كما صرّح هو عن نفسه، ثم أنه سينمائي عراقي أنتج فيلماً روائياً ينبغي أن يكون مدعاة للاعتزاز. لأستمع إليه ولأرى على الأقل فيلمه الأخير ولا يهم أن تجربتي تقول لي إن الخيبة ستصيبك من جديد وإن عليك تجنب ما سيسبب لك بعدها من آلام معدة ووجع رأس. ليست تلك هي المرة الأولى التي أتحمس فيها لمبدع عراقي. جربت ذلك مرات. أتذكر حواراً لمصمم الأزياء الإيطالي أرماني، قال فيه مجيباً على سؤال إذا كان يشعر بالتنافس بسبب وجود مصممي أزياء إيطاليين آخرين مثل بيرساجة أو بوس، قال، على العكس. لولا منافسة هؤلاء له لما شعرت بالحاجة لطرح تصميمات جديدة. التنافس بالنسبة للمبدع هو المحفّز للإبداع. فقط الجهلة والمتثاقفين المصابين بمركب عقدة النقص همهم إقصاء الآخر. وسطنا الثقافي مشهود له بـ"صولات الفرسان" من هذا النوع! التهميش والإلغاء هما القاعدة السائدة. نادراً أن تعثر على مبدعين عراقيين يتباريان في مديح أحدهما للآخر. ربما في مجال الموسيقى الكلاسيكية، لكن في المجالات الباقية لا شيء من هذا، فقط إقصاء وإبعاد. شخصياً كلما حاولت أن أعمل استثناءً كلما جاء هذا الاستثناء تأييداً للقاعدة. اقرأوا ما يُكتب على أغلفة الكتب الصادرة حديثاً أو على أخبارها والتي يكتبها عادة أصحابها ذاتهم ستجدون كيف يتباهى هؤلاء بعبقريتهم وكيف أنهم من جنس فريد. والأمر يهون لو لا يشكو هؤلاء أنفسهم من التهميش ومحاربة الآخرين لهم. إنهم مظلومون. في السياسة اعتدنا على ذلك. اقرأوا تصريحات السياسيين وحروبهم المعلنة وستجدون ما يشيب له شعر الرأس، كلهم نظيفون، كلهم يحاربون الفساد، كلهم حماة الدستور، كلهم ديموقراطيون. شيزوفرينيا ما بعدها شيزوفرينيا في السياسة، في الأدب، في الفن، في الشارع، وفي البيت. كأن شعباً كاملاً لابد له من مراجعة الطبيب النفسي. ومن لا يصدقني ليستمع إلى قصتي مع "العبقري" صاحب شهادة الدكتوراه في السينما، (كأن بيرغمان وفيلليني وأنطونيوني وبازوليني وهيتشكوك وويلز نقصتهم شهادة دكتوراه!) رغم أن من أجل صناعة فيلم لا حاجة للقب الدكتوراه لكننا أمام "عبقري" عراقي، السياسيون عندنا كلهم حملة "د" فلماذا هو لا، وهو كما يدعي حاز اللقب من جامعة السوربون (بالتأكيد ليس بالإخراج!) وليس من سوق مريدي كما في حالة السياسيين.

الدكتور الفاضل هذا والذي قادتني الصدفة لرؤية فيلمه ومقابلة معه في شوارع باريس، قال إن همه الوحيد الذي كان وما يزال هو عمل أفلام سينمائية عن "بلاده" العراق وإنه سعيد بتحقيق فيلمه الروائي عن "فجر العالم" في منطقة الأهوار في العراق وإن ما يثير الدهشة عنده هو أن الفيلم عُرض في عشرات الصالات العالمية وشارك في مهرجانات عديدة باستثناء عرضه في بغداد. لا أحد يرغب برؤية فيلمه هناك وهو حزين لأنه صنع فيلماً عراقياً لا يُعرض في العراق! ولكي يوضح لماذا هو العراقي الوحيد في فيلم موضوعه أهوار العراق، أجاب إن المنتجين الأوروبيين اشترطوا عليه ممثلين وعاملين من أوروبا. إدعاء باطل ونفاق. ليس لأن ثلاثة من الممثلين الرئيسيين هم:لبناني ومصريان (كريم صالح، سيد رجب، وليد أبو المجد) بل لأن صفة المواطنة في أوروبا لا علاقة لها بالمنشأ. لها علاقة بالجنسية التي يمكن لمن يعيش في أوروبا الحصول عليها بعد سنوات. الدكتور الفاضل نفسه حامل الجنسية الفرنسية (وامخلّف في باريس!) كما الممثلتان الرئيسيتان حفصية جزري (جزائرية-تونسية) وهيام عباس (من عرب ٤٨ بجواز إسرائيلي). هذا يعني أن "دأنا" تجاهل عدداً كبيراً من الممثلات والممثلين العراقيين الذين يعيشون في أوروبا ويحملون الجنسية الأوروبية وحصراً الجنسيتين الألمانية والفرنسية، البلدين المنتجين للفيلم بغض النظر عن تجاهله لموسيقيين عالميين من أصل عراقي.ولو أراد البحث عنهم لوجدهم. لكن....؟ طبعاً من حق الـ"د" الفاضل أن يختار الممثلة والممثل والموسيقي الذي يشاء. من حقه أن يتحدث عن عبقريته وعن وطنيته وبلاد الواق واق. من حقه أن يلطش قصة فيلم أيضاً غير عراقية الأصل استندت إلى رواية للألماني ليونراد فرانك (دون أن يقول ذلك طبعاً: امرأة ورجلان بالعربية. بالأصل: كارل وأنا. للسينما العودة إنتاج ألماني عام ١٩٢٨، ثم المرأة والغريب إنتاج ألماني شرقي ١٩٨٥!) من حقه الادعاء بما يشاء باستثناء أن يصدر لنا شيزوفرينياه! صناعة فيلم عن أهوار العراق بممثلين عرب اجتهدوا بتلفظ اللهجة العراقية لأهل الأهوار ولم يفلحوا لتغلب لهجتهم الأصلية كما لم يفلح مخرجهم الذي ادعى تعليمهم العراقية هي ضحك على الذقون! صدام حسين جفف مياه الأهوار. والـ"د" الفاضل مخرج "فجر العالم" أفرغها من مواطنيها.